

الموعظة الأولى

اغتنام العمر

هدف الموعظة

الحثّ على اغتنام العمر، خصوصاً مرحلة الشباب.

محاورة الموعظة

1. فرصة الشباب

2. يا بكار السنّ، التفتوا

تصدير الموعظة

أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا أَنْتَ عِدْدُ أَيَّامٍ، فَكُلَّ يَوْمٍ يَمُضِي عَلَيْكَ يَمُضِي بَعْضُكَ»⁽¹⁾.

⁽¹⁾ الليثيّ الواسطيّ، الشيخ كافي الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق الشيخ حسين الحسينيّ البيرجنديّ، دار الحديث، إيران - قم، 1418هـ، ط1، ص178.

العُمر منحةٌ إلهيةٌ أعطهاها الله - سبحانه - للإنسان، وهو رأس ماله في هذه الحياة الدنيا، وسوف يُسأل عنه يوم القيامة.

عن رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع:

1. عن عمره في ما أفناه.
2. وعن شبابه في ما أبلاه.
3. وعن ماله من أين اكتسبه وفي ما أنفقه.
4. وعن حبنا أهل البيت»⁽¹⁾.

لذا، كان لزاماً على المرء أن يغتنم عمره بالعلم واكتساب الفضائل والعمل الصالح، وبما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، وبما فيه نفعٌ له وللمجتمع الذي يعيش فيه.

فرصة الشباب

مرحلة الشباب ليست طويلةً نسبياً قياساً إلى عمر الإنسان ككل، لكنها تترك آثارها على امتداد حياة الإنسان؛ فهي فرصة للبناء والعمل على الصعد كافة؛ الجسدية والروحية. ومن هنا، على الشاب أن يسعى ليكون من المؤمنين الذين قال عنهم الله - تعالى - في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾⁽²⁾.

1. التعلُّم

يملك الشاب أرضاً خصبة للتعلُّم وتلقّي المعارف والعلوم الدينية والدنيوية،

(1) المجلسي، العلامة محمد باقر بن محمد تقی، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403 هـ - 1983 م، ط2، ج68، ص180.

(2) سورة العصر.

وتهذيب النفس، فعن أمير المؤمنين عليه السلام موصياً ابنه الإمام الحسن عليه السلام: «وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقى فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشغل بك»⁽¹⁾.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «كان أبي زين العابدين عليه السلام إذا نظر إلى الشباب الذين يطلبون العلم، أدناهم إليه، وقال: مرحباً بكم، أتم ودائع العلم»⁽²⁾.

2. الطاعة والعمل الصالح

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ أَحَبَّ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ -عزَّ وجلَّ-: شَابٌّ حَدَّثَ السَّنَّ، فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ، جَعَلَ شَبَابَهُ وَجَاهَهُ لِلَّهِ فِي طَاعَتِهِ، ذَلِكَ الَّذِي يَبَاهِي بِهِ الرَّحْمَنُ مَلَائِكَتَهُ، يَقُولُ: هَذَا عَبْدِي حَقًّا»⁽³⁾.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ شَابٌّ مُؤْمِنٌ، اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ -عزَّ وجلَّ- مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَكَانَ الْقُرْآنُ حِجْرًا عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽⁴⁾.

يقول الإمام الخامني (دام ظلّه): «كان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام،

(1) الرضي، السيّد أبو الحسن محمد بن الحسن الموسوي، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، تحقيق وتصحيح صبحي الصالح، ل.ان، لبنان - بيروت، 1387هـ - 1967م، ط1، ص393.

(2) يوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي، الدرّ النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ص587.

(3) المتقي الهندّي، علاء الدين عليّ المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتفسير الشيخ بكري حيّاتي - تصحيح وفهرسة الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، 1409هـ - 1989م، لا.ط، ج15، ص785.

(4) الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق وتصحيح عليّ أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، 1363ش، ط5، ج2، ص603.

خلال فترة شبابه في مكة، عنصراً مضحياً وذكياً، وشاباً نشيطاً ورائداً وسباقاً. كان يرفع العقبات الكبرى عن طريق الرسول في الميادين كافة. في ميادين الخطر، كان يتقدم مضحياً، ويتولى أصعب المهام والأعمال»⁽¹⁾.

3. تهذيب النفس

قال الإمام الصادق عليه السلام لأبي جعفر الأحول أحد تلامذته -والذي كان يعمل في تبليغ الرسالة وبيان مقام أهل البيت عليه السلام-: «عليك بالأحداث؛ فإنهم أسرع إلى كلّ خير»⁽²⁾.

ويوصي الإمام الخميني رحمه الله ابنه السيد أحمد بضرورة إصلاح النفس، خصوصاً في أيام الشباب، وعدم الاعتراض بمكائد الشيطان، بقوله: «بُني، اسع في إصلاح نفسك ما دمت تحظى بنعمة الشباب، فإنك ستخسر كلّ شيء في الشيخوخة، فمن مكائد الشيطان -ولعلها أخطر مكائده- هي الاستدراج؛ ففي أوائل الشباب يسعى شيطان الباطن -وهو أشدّ أعداء الشباب- في ثنيه عن إصلاح نفسه، ويُمْنِيهِ بسعة الوقت، وأنّ الآن هو أوان التمتع بالشباب، ويستمرّ في خداعه بالوعود الفارغة ليصدّه عن فكرة الإصلاح تماماً. وساعةً بعد ساعة، ويوماً بعد يوم، يتصرّم الشباب، ويرى الإنسان نفسه فجأةً في مواجهة الهرم الذي كان يؤمّل فيه إصلاح نفسه»⁽³⁾.

(1) الشباب في توجيهات الإمام الخامنيّ (دام ظلّه)، دار الولاية للثقافة والإعلام، على الرابط:

<https://alwelayah.net/post/13196>

(2) الحميريّ القميّ، قرب الإسناد، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، إيران - قم، 1413هـ، ط1، ص28.

(3) الإمام الخمينيّ رحمه الله، السيد روح الله الموسويّ، نفحات ملكوتيّة، إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلامية الثقافية، لبنان - بيروت، 2014م - 1435هـ، ط1، ص148.

يا كبار السنّ، التفتوا

«نفسُ المرء خطاه إلى أجله»⁽¹⁾، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام. لذا، على كبير السنّ أن يكون أحرص من غيره في ما بقي من عمره، بأن يغتنمه بالطاعة والعبادة، وتجهيز الزاد ليوم المعاد، وأن يترك صغائر الأمور، وأن يزهّد في الدنيا، وأن يصبر على ما يصيبه من الأمراض.

وهنا، بعض التوجيهات في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام:

1. اغتنام ما بقي من العمر

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن أَحسن في ما بقي من عمره، لم يُؤاخذ بما مضى من ذنبه»⁽²⁾.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «احذروا ضياع الأعمار في ما لا يبقى لكم! ففاتها لا يعود»⁽³⁾.

2. الاستعداد ليوم المعاد

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ من عرف الأيام، لم يغفل عن الاستعداد. لن ينجو من الموت غنيّ بماله، ولا فقير لإقلاقه»⁽⁴⁾.

3. الحرص على حسن العاقبة

(1) السيّد الرضويّ، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، مصدر سابق، ص 480.

(2) الصدوق، الشيخ محمد بن عليّ بن بابويه، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران - قم، 1417هـ، ط 1، ص 56.

(3) الشيخ محمد الريشهريّ، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر دار الحديث، لام، لات، ط 1، ج 3، ص 2114.

(4) العلامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 68، ص 263.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «فيا لها حسرة على كل ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجة، وأن تؤدّيه أيامه إلى الشقوة!»⁽¹⁾.

4. الاستعداد لتحمل أنواع البلاء

عن الإمام الجواد عليه السلام: «مَنْ أَحَبَّ البقاء، فَلْيُعِدَّ للبلاء قلباً صبوراً»⁽²⁾.
ف «طوبى لمن طال عمره، وحسن عمله، فحسن منقلبه؛ إذ رضي عنه ربه، وويل لمن طال عمره، وساء عمله، فساء منقلبه؛ إذ سخط عليه ربه»⁽³⁾، كما عن رسول الله ﷺ.

(1) السيد الرضي، نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، مصدر سابق، ص 95.

(2) الإرشادي، الشيخ علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، دار الأضواء، لبنان - بيروت، 1405 هـ - 1985 م، ط 2، ج 2، ص 348.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 74، ص 113.